اسهامات بير بورديو التربوية في تجنب القوة المهيمنة

"دراسة تحليلية"

إعـداد

ساندرا وحيد عزيز

باحثة ماجستير بقسم اصول التربية

جامعة عين شمس

إشراف

أ.د / عادل السكري

استاذ اصول التربية بكلية التربية

جامعة عين شمس

د/ عاشور عمري

مدرس اصول التربية بكلية التربية

جامعة عين شمس

تمهيد :

خلق الله تعالي الانسان و جعله خليفة في الارض و اعطاه العقل ليدرك به ما يدور حوله من احداث و يستطيع تجاوز المواقف التي تواجهه خلال حياته. و قد كرم الله عز و جل الانسان و اعطاه القدره علي التفكير و الاختراع و التعلم و التواصل و التطوير و سخر له كل مخلوقات الكون في خدمته، ولكن الانسان بطغيانه لا يدرك هذه الحقائق فهو ذو نزعه استعلائية و خصوصا علي بنو جلدته و بالتالي فهو لم يحقق مراد الله فيه و انحرف عن الطريق السليم فالجرائم الانسانيه التي ارتكبها في حق اخيه الانسان احياننا قد تضغي علي التفكير و بالتالي فهو لا يدرك لما خلق و ما هو الهدف الرئيسي من حياته من المعيشة. و قد اصبح همه الاول و الاخير (الهيمنه و الطغيان) ظاناً منه ان تلك هي اساليب القويه في الحياه ، و اصبحت (الهيمنه ، القهر و السلطة) الهدف الاول و الاساسي لكل من رغب في السيطره و الاستحواز و يمثل ذلك جانب الرعب لكل المهيمنين عليهم و استحواز مشاعر الاحباط و الضعف و قله الحيلة. لذلك وجدنا قضيت الهيمنة هي اساس كل الشرور. فكم منا لم يتعرض لقهر او وقوع هيمنة عليه من طبقة معينة او من شخص ما.

فاهدف دراستنا الحالية هو الكشف عن الآليات الخاصة بالهيمنة و تداعياتها لكي تساهم في نشر الوعي و المحاولة في تجنب القوه المهيمنة . فان مفهوم الهيمنة يزداد كلما ازداد الجهل بأليات الرمزية و الخفية فتستمد الهيمنة قوتها من اخفائها وتواريها ، ومن ثم تظل حقيقتها غائبه وهنا يحدد هدف الدراسة الي رفع النقاب عن حقيقه الهيمنة السائدة داخل المجتمع وتعريه اسسها الخفية التي تجعل المهيمنين عليهم يتقبلون باقتناع و رضي (شرعنه الهيمنة) . (جوزيف .س .ناي ، ٢٠٠٧ ، ٢١ – ١٤٢ :١٤٣) .

فالمجتمع البشري عبارة عن منظومة معقدة غير متوازنة تتغير وتتطور باستمرار؛ فنلاحظ انتهاء عصر الكيانات الكبيرة والمتماسكة سواء علي مستوي الواقع المادي أو علي المستوي المعنوي والنظريات، فيوجد اتفاق على أننا نعيش في عصر التفكيك و تفتيت الوحدات المتماسكة علي مختلف المستويات .وتعد السيطرة أو الهيمنة احدي أسباب هذا التفكيك وعلي هذا السياق فان تأملا بسيطا في حياه المجتمعات المعاصرة يبرز طغيان ظاهرة العنف ، بخاصة مع التقدم الهائل الذي أحرزته التكنولوجيا ، ومن خلال القراءات المتنوعة نجد أن أساليب الهيمنة كثيرة (اقتصادية – سياسية – ثقافية – وغيرها).

فالشكل الظاهر للهيمنة هو ما قام به الاستعمار الغربى عند احتلاله لشعوب العالم الثالث وحاول فرض لغته و ثقافته و أنماط تفكيره و يظهر ذلك في الأستعمار الفرنسي للمغرب العربي الذي حاول الاستعمار فرنسته ، أو مثلما حدث قديما في العصر الأغريقي و انقسامات المدن ، أما الشكل الخفي للهيمنة ينقسم الي نوعان (خارجي ، ذاتي) .

النوع الخارجي : يبرز في خطط الاستعمار الاستراتيجية طويلة المدي و مثال لذلك : ما قام به الاستعمار الانجليزي في مصر الذي وضع خطط طويلة المدي و قام بتكريس و تحذير إحدى خصائص العقلية الشرقية و نقطة الضعف المركزية في الثقافة المصرية و العربية بشكل عام وهي تقديس للكلمة المكتوبة .

اما النوع الذاتي : نوع خفى تمثله النظم المعرفية في الثقافه العربية و آليات تتحكم في العقل العربي بشكل لا شعوري و ذلك يعد أخطر أشكال التسلط و الهيمنة بل ايضاً أشد خطورة من هيمنة الاستعمار (علي ليلة : ٢٠١٥) .

وبناءً علي ما سبق نجد أنفسنا أمام عدة آليات لهذه الهيمنة في محاولة الكشف عنها من وجهه نظر بير بورديو لتجنب هذة القوة المهيمنة ، لذا تتمحور مشكلة البحث الحالي حول التساؤل الرئيسي : "**ما هي اسهامات بورديو التربوية في الكشف عن القوة المهيمنة** " . ويتفرع من هذا التساؤل ، الاسئلة التالية :

١- من هو بير بورديو وماهو منهجة وفلسفته التحليلية ؟

٢- ما هو مفهوم الهيمنة ومراحل تطورها ؟

٣- ما هي اليات الهيمنة عند بير بورديو وتداعياتها ؟

٤- ماهي اسهامات بير بورديو التربوية للكشف عن القوة المهيمنة ؟

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة الحالية من أهمية القضية التي تتصدى لها وهي **(قضية الهيمنة)** التي تمارس من خلال المؤسسات التربوية، والتي تشكيل خطرًا كبيرًا على النشء والشباب وإحساسهم بالاغتراب الثقافي، وتقوقعهم في بؤرة أحادية وتجمد للفكر. فضلاً عن الآثار السلبية على المجتمع بصفة عامة من: **(صراع طبقي ، واغتراب ثقافي، و التعسف الثقافي في العملية التعليمية ، احتكار المجتمع لأدوات التميز ، ظهور القوة الضاغطة ، و انتشار الوهم الفكري ، وفقر ثقافي، وانتشار للجهل ... الخ)**، وتحليل آراء أحد المفكرين التربويين حول هذه القضية وهو (بيير بورديو).

ومن هنا تنطلق أهمية الدراسة الحالية من الاعتبارات التالية:

١- تفيد الدراسة الحالية في معرفة الوضع الراهن لأليات الهيمنة داخل المجتمع.

٢- يمكن أن تساعد نتائج الدراسة الحالية المخططين وراسمي الخطط المستقبلية للتعليم في وضع الخطط التطويرية لمواجهة الهيمنة المتفشية داخل المجتمع.

٣- يمكن أن تشكل هذه الدراسة وما تتوصل إليه من نتائج؛ إثراءً للبحث التربوي بصفة عامة، ولمجال أصول التربية بصفة خاصة.

منهج الدراسة:

نظرًا طبيعة موضوع الدراسة والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها؛ فإنها سوف تعتمد في منهجيتها على الآتي:

١- **المنهج التاريخي** : يعد هذا المنهج مناسب لأهداف الدراسة حيث :

- دراسة مفهوم و قضية الهيمنة علي مر التاريخ .
- دراسة تطور نظريات الهيمنة و التحولات التاريخية في مفهوم الهيمنة لفهم الجانب الفكري و النظري لبير بورديو .
- تعاملنا المباشر مع المصادر الخاصه لبير بورديو و الكتب و المقالات المتحدثه عنه ، التحليل مع جمع المصادر وصولاً لقضية بورديو المشار اليها .

٢- **أسلوب التحليل الفلسفي** : حيث يعد هذا الأسلوب بشقيه (التحليل و التركيب) ملائماً لتحقيق أهداف الدراسة كما يلي : (woods , R,G, and Barrw, R:1975) .

- تحليل آليات وتداعيات الهيمنة ومدي تأثيرها علي المجتمع .

كما يعد هذا المنهج مناسباً لتحليل اسهامات بورديو في العملية التعليمة و مواجهه الهيمنة

محاور الدراسة : تأتي هذة الدراسة تحت اربعة محاور رئيسية ، وهي :

المحور الأول : منهج وفلسفة بيير بورديو التحليلية :

يعتبر بيير بورديو من اهم المفكرين الذين ظهروا في المنتصف الثاني من القرن العشرين ؛ وعلي الرغم من ذلك لم يحظ الرجل وفكره بالأهمية التي يستحقها و الاهتمام الذي حظي به سارتر أو فوكو وغيرهم ، والأغرب اننا نجد ان مدرسة بورديو ومنهجه بلا اتباع وهذا قليل الحدوث إن لم يكن نادراً ، في عالم تصنف فيه الأهمية بعدد الأتباع و المقلديين ؛ ويرجع ذلك لصعوبة لغة بورديو التي تكاد أن تكون معقدة و تشابك افكاره ، فيصعب الوصول الي الفكرة التي يريد ان يصلها الي القارئ والتي تستهلك عشرات من الصفحات غالباً ، وليس ذلك فحسب فأيضاً نظريته وافكاره تعتمد علي فهم التاريخ الاجتماعي وتحليله وهذا ما سوف نراعيه في دراستنا .

برغم ان السيرة الذاتية لأي مفكر أو فيلسوف تمثل أهمية بالغة في فهم نهج تفكير المفكر و ما العوامل التي اثرت علي تفكيره و الفهم العميق لمنهجه الا اننا نجد ان بير بورديو لم يهتم بكتابه سيرته الذاتية لا وعلي العكس كتب فصل كامل في كتبه عن وهم السيرة الذاتية ، وكل ما سنكتبه عنه ما هو الا مفكرين اخرين ذكروها او استنتاج لما ورد في كتابه بؤس العالم .

ولد بير بورديو في عام ١٩٣٠ ، نشأ في قرية جبلية نائية (بيرين) في جبال البرانس جنوب غرب فرنسا ، محصورة عند سفح الجبال ، تلك القرية التي كان اهلها لا يزالوا يتحدثون باللغة الأصلية القديمة . حيث كان يعمل والده مزارع ثم ساعي بريد ، وبالنسبة لأيام دراسته الابتدائية قضاها بين اطفال الفلاحين وعمال المصانع و أصحاب المتاجر الصغيرة في قري نائية اخري ، وتم استغلال ذلك لتكون اول الدراسات الاثنوجرافية

له ، حيث يشخص ازمة الفلاح بسبب اختلال الاستراتيجيات و العلاقة بين الجنسين(Loïc Wacquant , 2002 , 550) .

وفي اواخر الأربعينيات من القرن العشرين انتقل الي باريس للدراسة فى المدرسة العليا المرموقة، وفى ذلك الوقت كانت الفلسفة هى الوظيفة الالزامية لأى فكر طموح وهناك نما بسرعة غير راض عن فلسفة الموضوع وذلك من خلال الوجودية السارتارية ثم العقيدة السائدة وانجذابها نحو الفلسفة وكذلك نحو ظواهر ادموند، باختصار بعد التخرج ترك دراسته الفعالة فى علم النفس والتزاوج وانتقل الى علم الاجتماع والربط فى الأحداث الشخصية فى ذلك الوقت واللقاء المباشر مع الحقائق البشعة للحكم الاستعماري والحرب فى الجزائر(Loïc Wacquant , 2006 , 1) .

تلقي بورديو منحة الدولة ونصيحة من قبل أحد المعلمين بعد تخرجه من المدرسة العليا العادية ؛ للتسجيل في الدورة التحضيرية العليا في مدرسة النخبة التي جمعت افضل الطلاب في البلاد في جو من المنافسة الشديدة و التفاني العلمي ، بعد التخرج اجتاز تدريس الفلسفة في مدرسة ثانوية moulins وهي بلدة صغيرة في وسط فرنسا ولكن بعد عام في ١٩٥٥ ارسل الي الجزائر تحت العلم الفرنسي لكونه متمرد علي السلطة ولأسباب تأديبية ، هذا اللقاء المباشر مع الحقائق المروعة للحرب من فرنسا للنهوض بالقومية الجزائرية غير الكثير من مصير بورديو الفكري الي الأبد (Loïc Wacquant , 2002 , 550) .

ودافع بورديو عن علم الاعراق وعلم الاجتماع من أجل فهم الكارثة الاجتماعية الناجمة عن الاشتباك بين الرأسمالية الإمبريالية والقوميات المحلية وقام أيضا بورديو ١٩٦٤ بتشريح التنظيم الاجتماعي و ثقافة المجتمع الأصلي وسجل اضطرابا عنيفا تحت الصحافة

على العمل المأجور وسياسة التهدئة الفرنسية العسكرية فى محاولة للمساعدة فى الولادة المؤلمة للجزائر المستقلة وحوّل بورديو وفى نفس الوقت أدوات العلم الجديدة الى بلده لفهم أسباب انهيار المجتمع الفلاحي الأوربي (Loïc Wacquant , 2006 , 1) .

الخلاصه لقد درس بورديو في جامعه الجزائر ونفذ العمل الميداني هناك حتي عام ١٩٦٠ عندما اجر انقلاب العاصمة الكولومبية، وفى أوائل الستينيات عاد بورديو من الجزائر الى باريس حيث تم ترشيحه مدير الدراسات فى كلية الدراسات العليا فى العلوم الاجتماعية بناء علي طلب ارون الذي حصل علي منحة كبيرة من مؤسسة فورد التي اهتمت بالعديد من النقاط مثل :-

- التركيز علي العلاقات بين الثقافة و السلطة وعدم المساواة الاجتماعية
- مزج النظرية مع المنهجية الملاحظة ضد كل الاتجاهات التجريبية في علم الاجتماع و العزف النظري لبيئة فكرية فرنسية مفتونة الي الأبد بالنماذج الأدبية .
- الاعتراف الكامل بالموضوعية المزدوجة الاجتماعية ، التي تتكون من توزيعات الموارد المالية و المواقف من ناحية اخري و التصنيفات المتضمنة

وهناك تابع عمله الاثنولوجى على الطقوس كما اهتم ايضا بالتغيير الاجتماعي وخصوصا فى فترة ما بعد الحرب والاعتمادات الوراثية والالمام البرجوازي الثقافي حيث أصبح ذلك عاملا رئيسيا فى تحديد فرص الحياة وذلك تحت عباءة الموهبة الفردية والجدارة الاكاديمية وكان التوزيع الغير متكافئ يساعد على حفظ التسلسلات الهرمية الاجتماعية (Loïc Wacquant , 2002 , 552) .

فى السبعينيات استمر بورديو وفى التنقيب عن مجموعة واسعة من الموضوعات فى تقاطع الثقافة والطبقة والسلطة والهيمنة ، وفى الثمانينات أجريت الابحاث لتؤتي ثمارها فى قضايا

مهمة مثل اللغة و القوة الرمزية، عمل بوردي وفى أوائل التسعينات من القرن العشرين على حماية انجازات النضالات الاجتماعية كالمعاشات التقاعدية والأمن الوظيفي والوصول المقترح الى التعليم العالى والأحكام الأخرى للدولة الاجتماعية ضد التخفيضات فى الميزانية وغيرها من الهجمات باسم الأسواق الحرة والمنافسة الدولية وبذلك أصبح واحدا من المفكرين النقاد الأكثر شهرة للعولمة النيوليبرالية، التى تعبر عن نموذج محدد للحد من اجراءات الدولة وتعزيز الملكية الخاصة والحرية لرأس المال التى كانت استجابة ضرورية للعولمة، وذلك النموذج قد ازعج الامريكيين الذين كانوا يرغبون فى ابعاد أنفسهم عن الحكومة و سياسة الشركات ومع ذلك كان الاتجاه العالمى نحو السلعة والغاء القيود التنظيمية قد تم الترويج لها بقوة من قبل طبقة المهيمنين فى القرن العشرين .

اهتم بورديو بالسلطة السياسية والصراع السياسى والثقافى وعرض موضوع أكثر دقة لإنتاج آليات الهيمنة استكمالاً لهيمنة جرامشى وأجهزة الدولة الايديولوجية والقوة المماثلة لفوكو الذى تمتع بها الوكلاء فى الدفاع عن مصالحهم ودعم مشاريعهم، كما كان بورديو مغرما بالإشارة الى الفئات الممثلة للعنف الرمزى. (Craig Calhoun , 2012 , 12).

ما بين ٣٧ كتاب و تقريبا ٤٠٠ مقال تحدث بورديو عن الهيمنة وصاغها فى تقنية صعبة المصطلح بالرغم من أن لم يوجد مفهوم مباشر لمصطلح الهيمنة فى معجم بورديو الا اننا نجد أن قضية الهيمنة مسيطرة على كل كتاباته بصورة ضمنية، قد يبدو فكر بورديو فى أول نظرة مشتت ومرهق ولكن تحت مجموعة متنوعة من الأشياء التجريبية التى تناولها تكمن مجموعة صغيرة من النظريات و المبادئ و الأدوات و المفاهيم التى تعطى كتاباته التماسك الملحوظ والاستمرارية، ان عمل بورديو مترامي الأطراف لا ينفصل عن علم

الممارسة البشرية و انتقاد الهيمنة والكشف عن الأشكال الخفية للحكم والسيطرة وأنماط القوة والامتيازات الراسخة للسياسة التى تدعم هذه السلطة والنظام الاجتماعى الذى يخفى التعسف ويدين نفسه عن طريق الابتزاز، و العنف الرمزى الذى يعد فرض خفى لنظام أضيف له شرعنه مسبقة وبالتالى هياكل عدم المساواة. (Loïc Wacquant , 2006 , 3) .

استخدم بورديو فلسفه العلاقات في تحليل العالم الاجتماعي ويقول بورديو ان بداية فلسفة العلوم كانت تعطي الاولوية للعلاقات و تمثل فلسفة كل العلوم الحديثة علي الرغم من اختلاف الكثرين و ذلك لندرة استخدام هذة الفلسفة في العلوم الاجتماعية ، كما يدعو ايضا بعدم التفكير في علم الاجتماع بنمط التفكير الجوهري (نمط تفكير الحس المشترك و العنصري الذي يتعامل مع افراد معينه كخصائص جوهرية منقوشة الي الابد) مثال رياضة التنس للطبقة الغنية فقط ، فلابد للنظر و التفكير بصورة مختلفة ليرتبط علم الاجتماع و تحليله بالفلسفة و السياسة و غيرها من المجالات الاخرى ، و دعا ايضا للخروج عن القراءة الداخلية التي تسعي لفرضها العوالم العالمة ، حيث تقع القراءة الداخلية شديدة الاختزال بعيدا عن المنطق الخاص بعالم الانتاج و المنتجين المحترفين من المفكرين و الفلاسفة و العلماء ، وهكذا نجد للعديد من المشكلات الاساسية حلاً (بير بورديو ، ١٩٩٨ ، ١٥ : ١٠٨) .

رأس المال لبورديو ١٩٨٦ هو اي مورد فعال في ساحة اجتماعية معينة تمكن الشخص من ان يلائم ارباح محددة تنجم عن المشاركة و التنافس فيها ، رأس المال هنا ياتي في ثلاثة نقاط رئيسية :

- اقتصادية (مادية ، مالية)
- ثقافية (سلع رمزية نادرة ، مهارات) ، صاغ بورديو فكرة رأس المال الثقافي و ادخلها في مفهوم عام لراس المال علي انه " طاقه اجتماعية مكشوفه و قابلة للتحويل " ، استرجع بورديو و اعاد صياغة مفهوم ارسطو من الهابيتوس الي وضع فلسفة تصرفيه للعمل مع الظهور من الناحية الاجتماعية فشكلت و تجسدت بشكل فردي مخططات الادراك و التقدير ، و قام بتشكيل اداه تحليلية رواية للحقل حيث يتم تخصيص مساحات مستقلة نسبياً للقوي الموضوعية و النضالات ، وحدد بورديو اشكال معينه من السلطة لإكمال المفهوم بالقوة اكتسابه الديناميكية LOÏC WACQUANT , 2002 , 553) .
- اجتماعية (الموارد المتراكمة بحكم العضوية لدي المجموعة)

و يوجد نوع رابع (رأس المال الرمزي) الذي يحدد اثار اي شكل من اشكال رأس المال (LOÏC WACQUANT، 2006، 9:8) .

رأس المال الرمزي مثله مثل اي ملكية مدركة من قبل الفاعلين الاجتماعيين تسمح لهم مقولات ادراكهم بمعرفتها و الاقرار بها و منحها قيمة مثل (الشرف) ، و بصفة اكثر تحديداً هو الشكل الذى يأخذه اي نوع من رأس المال عندما يكون مدركاً من خلال مقولات الادراك التي هي نتاج اندماج التقسيمات أو التعارضات المسجلة في بنية توزيع هذا النوع من رأس المال (قوي او ضعيف ، كبير او صغير ، غني او فقير .....) ، ويعتبر رأس المال القضائي صورة مقننة لرأس المال الرمزي (بير بورديو ، ١٩٩٨ ، ١٣٦) .

رأس المال الرمزي القائم علي اساس (السمعة ، الرأي ، التمثيل) كما يقول القبليون ان (الشرف مثل بذرة اللفت) ، يمكن تدميره بالشك و النقد و يصعب بوجه خاص نقله و تشييؤه ،

و ليس من السهل تحويله الي اخر حيث ان السلطة الخاصة لرأس المال الاقتصادي يمكن ان تكون نابعة في الحقيقة من واقع ان تتيح اقتصادا للحساب الاقتصادي الذي يمثل الاقتصاد للإدارة العقلانية تحت جهد الإبقاء (بيربورديو ، ٢٠٠٢ ، ١٥٨) .

المحور الثاني : مفهوم الهيمنة ومراحل تطورها :-

فيعتبر مصطلح الهيمنة موغلا في قدمه ، بداية من الاغريق في سيادة مدينة ما أو شعب ما علي على مدن وشعوب اخرى ويمكن فهم هذا الامر من خلال الصراع القاسي و المرير الذى دخلت فيه كل من اثينا و اسبرطة اليونانيتين لكي تؤكل كل منهما هيمنتها وسيادتها على الاخرى . وتعتبر الهيمنة مرادف لمفهوم التسلط و التفوق وبهذا المعني يمكن لنا ان ندرك الأبعاد التي كان يطمح اليها هتلر من اجل السيطرة علي العالم اجمع ومثلما ينطبق هذا القول علي النزعة الهتلرية التسلطية ، ينطبق بالمقدار نفسه علي فرنسا في العصر النابليوني وعلي انجلترا في العصر الفيكتوري ، واذا كانت الهيمنة مرادفه للتسلط العسكري في اغلب الاحيان فمن الممكن ان تكون ايضا ذات طبيعة سياسية وايدلوجية واقتصادية و ثقافية . وفي العصر الحديث ، تمارس الولايات المتحدة الامريكية بوصفها زعيمة العالم الحر الهيمنة بمعناها الواسع ، وتطرح نفسها كقوة عظمي لا يستطيع ان ينافسها احد او يقف في وجهها اي قوة اخرى في العالم . (عبد الوهاب الكيالي ، ١٩٩٤ ، ٢٣٧) .

استخدم لفظ الهيمنة في اللغة العربية من اشتقاق الفعل هيمن والذى يعنى امن غيره من الخوف ووفر له الامان . وذكرت كلمة هيمنة في القران الكريم في قوله تعالى " وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ....." سورة المائدة ايه ٤٨ (مهند حميد الراوي ، ٢٠١٥ ، ٦٣).

لابد من الإشارة الى مفهوم مبسط للهيمنة ، على انها ظاهرة سياسية انسانية يمكن لمسها في اطار العلاقات بين الافراد والجامعات والنظم السياسية ، بتعبير اخر ان الهيمنة في اطار العلاقات هي سلوك سياسي أخلاقي واحيانا قانوني يستهدف مصلحة الفرد والجامعات والشعب في نظام سياسي معين ، بالرغم من انه في اطار العلاقات الدولية يأخذ معنى اخر اذ ستغدو محاولة من جانب دولة ما بما تملكه من وسائل وعناصر قوه لفرض ارادتها على الدول الاخرى واملاء سياسات ومواقف تتناسب مع مصالحها القومية والعالمية او منعها من اتخاذ سياسات ومواقف تتعارض مع سلوك غير أخلاقي وإنساني وقانوني .(أمنة علي و محمد ميسر ، ٢٠١٥ ، ١٥٨) .

اما اصطلاحا فان الهيمنة :

وهي كلمة تشير الي الحكم او الامر ، ويشير مصطلح الهيمنة Ηγεμονία الذي ينحدر من الكلمة اليونانية مبدأياً الي السيطرة ، وهو مصطلح معقد يفتقر الي العديد من المعاني الغير مباشرة ، وظهرت بدايات هذا المفهوم في كتابات ثيوسيديس عندما وصف الهيمنة الأثينية في الحرب البيلوبونزية ، حيث فرق بين الهيمنة علي اعتبارها القيادة المشروعة و السيطرة السياسية . (comor , 2016, 1)

(الهيمنة من افلاطون الي ماركس الي جرامشي)

ينبغي أن نرجع الي الظروف التاريخية التي احاطت بمدينة اثينا بالذات لأنها المدينة اليونانية التي اثمرت اصول الفلسفة الكلاسيكية والتي تمثل فيها بوضوح مراحل التطور الاجتماعي و السياسي المختلف ، فانتقلت من المجتمع البدائي الي المجتمع القبلي الذي تحولت فيه من الملكية الجماعية للأرض الي ملكية خاصة تركزت في أيدي رؤساء الأسر

الارستقراطية الكبيرة وتحول عدد كبير من السكان الي رقيق و معدومين مكبلين بالديون وقد عرف هذا النظام لحكم الارستقراطية في اليونان باسم حكم (النبلاء) وهم الذين كانوا يمتلكون في ايديهم كل انواع السلطة وهذا الحكم الذي ساد الي عصر صولون المصلح و المشروع السياسي الشهير في القرن السادس الميلادي . (أميرة حلمي ، ١٩٩٥ ، ١١) .

افلاطون في عصره امتلأ بالاضطرابات السياسية و حفل بالصراع الحربي الذي احتدم في حرب أهليه بين مدينة اثنا و اسبرطة الامر الذي سارع بالقضاء علي الحضارة اليونانية ، ولم تسلم الحياة الداخلية من الصراع بين الأحزاب المتنافسة علي الحكم ، وعلي رأس هذه الأحزاب حزب الأرستقراطية المعبر عن مصالح النبلاء وهو الذي يعرف احينا بحزب الاوليجارشية (اي القلة الغنية) و بين حزب الديمقراطية الذي يضم طبقات متباينة من أغنياء التجار ومن ينضم اليهم من المهنيين و أصحاب الحرف اليدوية وهو الحزب الذي قضي علي سقراط بالإعدام والذي كان هدف لنقد افلاطون المستمر في محاوره ، يلخص افلاطون أراءه في الدولة و الحكم بقوله " لقد اتفقنا الآن علي ان الدولة التي تطمح الي أن تحكم حكما مثاليا يجب أن تجعل النساء و الأطفال مشاعا وينبغي أن يتلقى الرجال والنساء فيها نفس التعليم في جميع مراحله ويتقسموا كل المهام و المناصب سواء منها الحربية أو السلمية كما ينبغي أن نتخذ ملوكا من أولئك المواطنين الذين يثبت امتيازهم في الفلسفة والحرب معا "

اما عن انواع الحكم السيئة التي تلي هذا النوع من الحكم فيضيف بقوله " ان للحكومات التي اقصدها اسماء معروفة و أولها هي الحكومة المشهورة في كريت و أسبرطة وهي الحكومة التي يشيع الأعجاب بها ، والثانية في الترتيب و المكانة تسمي بالأوليجاركية

وهي حكومة فيها عيوب عديدة وتليها حكومة علي عكس السابقة و اعني بها الديموقراطية واخيرا حكومة الطغيان التي يظن انها حكومة مجيدة و التي تتجاوز الأخريات جميعا من حيث الراي الرابع و الأخير للمجتمع " ، ويقدم افلاطون تصنيف شهير للحكومات الصالحة منها والغير صالحة ، فعندما تلجأ للقوانين تصبح طاعتها واجبة علي الحاكم و المحكوم علي السواء وعلي ضوء مدي التزام الحكومة بالقوانين . (أميرة حلمي ،١٩٩٥ ، ١٣ :٢٢) .

** **ماركس** ، أن الصراع الأيديولوجي شكل من اشكال الصراع الطبقي ، فالهيمنة عند ماركس تتخذ مفهوم ذات طابع اجتماعي وتاريخي وهو (النظام الطبقي) حيث كان يعتبر ماركس ان البنية التحتية (البنية الفكرية و الأيديولوجية و الثقافية) تختلف وجودها من ايديولوجية طبقة الي ايديولوجية طبقة اخري ، وتطور بنية الأيديولوجية العامة كتطور البنية الاجتماعية الشاملة تطور تفاوتي ولابد ان تكون السيطرة فيه ، في كل مرحلة من مراحله ، لبنية فكرية محددة او لأيديولوجية طبقية محددة وهي بشكل عام ايديولوجية الطبقة المسيطرة . (توفيق المدني ، ١٩٩٧ ، ١١٧) .

** **جرامشي** في رسالته الاولي المذكورة في كتاب رسائل في السجن ، معاديته لسيطرة الكنيسة الكاثوليكية ، فأعتبر جرامشي أن الماركسية بحكم كونها منهج جدلي يمثل النقيض مع الأرثوذكسية الفكرية ، ويتحدث فيها عن التعاليم الكاثوليكية و البابوية وكيف كانت تقود الي الفقر ؛ حيث كانت الكنيسة الكاثوليكية هي المهيمنة في ذلك الوقت ووفقا لتعاليم يسوع المسيح يجب ان يكون هناك دائما غني وفقير هذا يعني اننا سنترك اثنين من الفقراء علي الأقل في كل مرة ؛ لان يسوع المسيح لم يكن مخطئا ، فيجب دراسة ذلك في كل

تقاليد و عقيدة الكنيسة الكاثوليكية ، والتصريحات الرئيسية البابوية ، وخاصا الملكية الخاصة وملكية الأرض تعد حق وطني و التي لا يمكن أن تكون مع فرض ضرائب قوية ، فيجب أن يكون الفقراء راضيين عن مصيرهم لأن التميز الطبقي وتوزيع الثروة هما من افعال الالهة ، يحرص الرؤساء و القواد علي عدم ذكر ان قانون الدولة جزء لا يتجزا من الكاثوليكية وعقيدتها ، واعتبرت الكنيسة اي مخالفة في ذلك تعد نقض في الاتفاق ، أن الثورة الفرنسية بدات بتقسيم العقائدي لنفس العقلية و التصور العام ، وتحدث جرامشي ايضا عن العلاقة بين استاذ الجامعة و الطلاب وان العلاقة الجيدة لها أهمية هائلة في الاستمرارية الاكاديمية ومحاولة المعلم ان يوصي بقراءة الكتب فكل معلم يميل الي تشكيل بلدة المدرسة من نقاط لها محددة العرض (تسمي النظريات) علي افراد معينه من عمله . (Antonio Gramsci , 1977 , 6:12)

يبين لنا جرامشي ان الدولة ليست جهازا للحكم فقط وإنما تعني ايضا جهازا (للهيمنة الخاصة) ، ولجرامشى مفهوم خاص للدولة فهي بالنسبة له المركب الكامل للنشاطات العملية او النظرية التي لا تبرر الفئة الحاكمة فيها سيطرتها فحسب بل تسطيع ايضا الحصول علي الموافقة الفعالة من المحكومين ، وهكذا فأن الهيمنة الطبقية التي يتم التوصل اليها عبر مؤسسات المجتمع المدني تتم بواسطة وظيفة القيادة بالموافقة مع وظيفة القمع ، وبذلك تتخطي معالجة جرامشي لمفهوم الدولة في مقولات علم سياسة وعلم الاجتماع فليست الدولة بعد الأن مجرد جهاز قمعي لها أثر ارتجاعي ، وأن هيمنة فئة اجتماعية علي باقي السكان اساس الدولة بالمعني الضيق كجهاز قمعي حاكم . (توفيق المدني ، ١٩٩٧ ، ١٢١:١٢٠) .

المحور الثالث : اليات الهيمنة عند بير بورديو :

قبل أن نتحدث عن آليات الهيمنة لابد من توضيح بعض النقاط و ذلك لتشابك فكر بير بورديو و اعتماده علي العلاقات كما ذكرنا من قبل ، إن المجال الاجتماعي ينقسم دوماً إلي مناطق مهيمنة و أخرى مهيمن عليها ، ويعني ذلك ايضا ان المجال الإجتماعى يمثل مجالاً للهيمنة و مجالاً لمقاومة الهيمنة في ان واحد ، واهتم بورديو بحقل القوة و حقل الصراع فضلاً عن إبراز المكانة المركزية التي يشغلها مفهوم رأس المال ، ووصف بورديو (حقل القوة) بمجال السلطة الموزعة بطريقة متفاوتة ، فلكل فرد ثقل معين (رأس المال) في اللعبة الاجتماعية ؛ يستعمله لتحسين موقعه أو الحفاظ عليه ، كما يستعمل بورديو الصورة الحربية (حقل الصراع) لتوضيح ان الفاعلين يتصارعون من اجل الحصول علي مكان تحت الشمس . يهدف بورديو الي فهم لماذا يتقبل المهيمن عليهم الهيمنة التي يخضعون لها مانحين للإيديولوجية و العنف الرمزي دوراً مهماً في إدامة الهيمنة واذا كان ماركس يعتقد ان الهيمنة تمارسها طبقة علي طبقة اخرى فإن بورديو يلح علي فكرة البنيات ، اي المجال الاجتماعي و حقول القوة و الصراع وهي التي ترغم الفاعلين علي القيام بأفعال تنتهي بإنتاج ظاهرة الهيمنة . فالهيمنة بالنسبة لبورديو هي المفعول المباشر لمجموعة معقدة من الأفعال التي تولد في شبكة الإكراهات المتقاطعة التي يتحملها المهيمنون الذين تهيمن عليهم بنية الحقل و التي تمارسها الهيمنة بواسطتها ، فالهيمنة بذلك المهني نتيجة لا واعية و غير مقصودة و غير مخطط لها لبينة المجتمع القائم علي التميز و التفاوت والذي يعتبر المبدأ الأساسي لتنظيم المجتمع . (حسن احجيج ، ٢٠١٨ ، ١٠١:١٠٨) .

نظرية الهيمنة بالنسبة لبير بورديو تتعلق بكيفية تمكين الهيمنة من تفعيل نفسها و كيف تتوصل الي تجاوز ان تكون مجرد علاقات قوة ، و تنصب نفسها كهيمنة مشروعة في أعين المهيمنين عليهم انفسهم ، وان ما يثير الدهشة ليس هو ان هناك هيمنة (هيمنة شخص علي شخص اخر ، هيمنة جنس علي جنس اخر ، هيمنة طبقة علي طبقة اخرى) وإنما هو واقع قبولها من طرف ضحاياها و كأنها امر طبيعي و بديهي علي الرغم مما يعانونه من ظلم و فقر و إهانة بسببها ، ومن الملاحظ ان المهيمنين عليهم لا يتمردون ضد الهيمنة فحسب بسبب الخوف من قمع (البوليسي ، الأبوي ، العسكري ، .....) فمثلا من وجه نظر ماركس قال ان الطبقة البرجوازية يسعون عن قصد الي تحويل شئ خاص الي شئ عام بكل نفاق و مصالح مجموعة الطبقات الاجتماعية و سميت هذة الفكرة ب (فكرة المؤامرة) التي تسند الى مبدأي الوعي و القصدية (حسن احجيج ، ٢٠١٨ ، ١٥٣:١٥٠) . و يعد البعد النقدي واحداً من اهم الابعاد السيسيولوجية لبير بورديو ، ويتمثل هذا البعد في السعي الي فهم الآليات التي تتضمن استمرار علاقات الهيمنة بين الطبقات الاجتماعية وبين الرجال و النساء و بين جماعات محددة ، ويوضح بورديو اشكالا متعددة من آليات الهيمنة في حقول مختلفة مثل (النظام التعليمي ، هيمنة الذكورية ، المجال الديني ، الدولة ، الفن و الثقافة ، وغيرها) . (حسن احجيج ، ٢٠١٨ ،١٤٧)

هيمنة الدولة : تمثل الدولة الجانب الأكبر في امتلاك رؤوس الاموال التي تعد العامل الاساسي لفرض الهيمنة ، فهي ترتكز علي الموارد المختلفة ، الاشكال و الصور للموارد (المعلومات) الاحصاء عبر الاستقصاءات و التقارير و ترتكز ايضا علي رأس المال اللغوي وذلك في أضفاء الطابع الرسمي علي لغة أو لهجة و جعلها لغة مسيطرة وكل الاشكال الاخري من اللغات فاسدة ، وتكوين مدينة معينه لجعلها العاصمة يرتكز فيها كل

أشكال رأس المال و تكوين ريف او اقاليم و ضواحي اخري منزوعة رأس المال ، فالدولة جهاز ادارة بيروقراطي للمصالح الجماعية فتمارس الدولة سلطة هذا الجهاز فيها و عملية رمزية للشرعنة او تحويل الا رسمي الي رسمي ، و تتكون الدولة من مجموعة من المؤسسات تعّد خدمية في العام ورقابة تحكم من خلالها في الخاص و يزداد تحكمها قوة كلما أدت خدمة وهذا الأمر يصبح علي مؤسسات مثل البرلمان ، فالبرلمان هو نموذج اختراع الدولة فهو حيز السياسة الشرعية او المشروعة في صوغ النزاعات بين المصالح و الجماعات وحلها ، و تستبعد بذاتها و لذاتها بعض اشكال العنف الغير لفظي مستبعدة بواقع تأسيس شكل اخر من العنف بوصفه عنفاً مشروعاً . (بيربورديو ، ٢٠١٦ ، ٦٥:٢٤٨) .

جزء من عمل الدولة موجهه نحو الطبقات المقهورة فتمثل هذة الطبقات الجانب الخطر التي ينبغي ترويضها و لابد من ادخالها في اللعبة ، و يمكننا القول في الحين ذاته ان الامر يتعلق بمساعدة المقهورين بانتزاعهم من حالة البؤس التي يعانون منها علي نحو لا يُحتمل ، فا فاعلوا الخير و المحسنون كان لهم هم ايضا دور رئيسي في اختراع الدولة الحديثة و خصوصاً دولة الرفاه ، بناء الأمة انطلاقاً من الدولة يشجع و يؤتي لاندماج المقهورين ولكن ذلك يعني شيئين ، انها حركة نحو المركز و المشاركة في الوهم (دخول في اللعبة) و اندماج او استدماج تعارض في الحين ذاته الانفصال وواقعه الخروج من الدولة متمثل في شكلاً قومياً وهو احد الخيارات في الصراعات ، ومن جانب اخر يمثل المقهورين خطورة لأنهم يستهلكون و يقومون بانتفاضات جوع ويهدمون ليس الصحة العامة فحسب بل الآمن الجماعي و النظام العمومي و تبعاً لذلك ثمة مصالح امن ونظام

تزداد عظماً بطبيعة الحال كلما ارتفعنا في التراتيب الاجتماعية. (بير بورديو ، ٢٠١٦ ، ٦٠٤:٦٠٧) .

هيمنة وسائل الاعلام : وسائل الاعلام الحديثة آليات عملها وبالتحديد التلفزيون يفتح الطريق بشكل غير مباشر للتأمل و التفكير فيما هو أبعد من ذلك وتحديداً طبيعة المجتمع الئي نعيش فيه ، ولتقريب الفكرة فيجب أن نتأمل في الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام العالمية و العربية و خصوصاً دور القنوات الفضائية العابرة للحدود الجغرافية فيما يتعلق بالأحداث التي تشهدها المنطقة العربية في فلسطين و العراق، و القنوات التلفزيونية بشكل خاص الفضائية التي لم تعد مجرد قنوات تقدم برامج التسلية أو التثقيف (حتي وان كانت برامجها تتضمن ذلك) انما هي كما يؤكد بورديو قد اصبحت أدوات الضبط و الحكم السياسي و الاجتماعي في المجتمعات الراهنة ، او هي وفقاً للمصطلح الذي يستخدمه بورديو عبارة عن ادوات للعنف الرمزي تعد وسائل الاعلام تصنع بصورة جماعية تصوراً اجتماعياً يدوم حتي وإن كان بعيداً عن الواقع ، علي الرغم من التكذيبات أو التصحيحات حيث انها لا تؤدي في أكثر الاحيان إلا الى تعزيز التفسيرات العفوية و يستشير الأحكام المسبقة أولاً ، ويجب ان نضع في حسابنا ان الهيمنة التي يمارسها التلفزيون بشكل قوي داخل المجال الصحفي نفسه ، لان انتشاره الواسع يمنحه وزناً هاماً و خاصه في تكوين التصور المسيطر للأحداث كما تمارس الاعمال المصورة آثر تضخيمي يثير الانفعالات الجماعية بصورة مباشرة جداً . (بير بورديو ، ٢٠١٠ ، ٩٥) .

هيمنة الصحافة : عالم الصحافة عبارة عن مجال في حد ذاته ولكنه يخضع لمحددات وشروط اقتصادية من خلال عامل الاوديمات (نسبة الاقبال) ، هذا المجال التابع جداً و الخاضع جداً للقيود التجارية يمارس هو نفسه تأثيراً و ضغطاً علي جميع المجالات

الاخري انطلاقاً من كونه بنيه ، ومن ناحية اخرى يمكن للقوي و التلاعبات الصحفية ان تعمل ايضاً بطريقة اكثر براعة و ذلك بإدخال انتاج يتميز بالتبعية و العماله في المجالات المستقلة (مثل) المنتخبين الذين يتلقون التكريم تحت تأثير القوى الخارجية ، تكريم لا يمكن الحصول عليه من خلال قيمتهم الفعلية داخل مجالهم ، تسعي هيمنة المجال الصحفي الي تدعيم وجود وكلاء و مؤسسات تقع علي حدود القطب الاكثر خضوعاً لتأثير الارقام و منطق السوق داخل كل مجال من المجالات الاخري ، و ان ظهور مبدأ الشرعية الجديدة المتمثل في اقرار لغة الارقام و تكريسها و الظهور الاعلامي القادر علي منح انتاج معين (ثقافي و سياسي) ، بعض تحليلات التلفزيون يعود نجاحها للصحافة و خصوصاً اولئك الاكثر حساسية لتأثير نسبة الإقبال و حقيقة انها تضفي شرعية و ديمقراطية علي المنطق التجاري محاولة ان تفرض ذلك وفقا لمصطلحات اللغة السياسية (بير بورديو ، ٢٠٠٤، ١٣٤:١٠٥) .

هيمنة الخطاب الديني : نجد ان هناك شرعنه للمنتجات الرمزية الخاصة برجال الدين وخاصه رجال الكنيسة المتعلمين ، ولا يمكن ان يقارب لا بطريقة بنيوية كعالم موجه بمنطق تلازم للمعرفة و التواصل ولا بطريقة ماركسية في خدمة سيطرة الطبقات ، و نلاحظ ان المصالح التي هي موضوع الرهان ملائمة لوضعهم و مكانتهم للذين يتصارعون لغرض قضية ما وبهذة الطريقة يقول بورديو ان (الساحر و رجل الدين) يشتركان في امتلاك الجاذبية وفي مواجهه اوضاع قائمة ، و الكاهن يشترك مع النبي في حمل الخطاب بالدرجة التي تصل اليها المؤسسة (الكنيسة) في فرض احتكارها علي تناول اشياء الخلاص و تسمح بتوضيح جزء كبير لتوزيع الموارد الدينية في ظروف معينة و شروط العمل بالاسلحة التي يعطيها الحقل و التخلي عن الاسلحة التي يمكنه الحصول

عليها من عوالم مبنية علي اسس و مبادئ اخرى ؛ و لذلك فإن السلطة الرمزية ، سلطة مخصوصة بالتكريس أو الأقصاء هي سلاح و قضية صراع و السلطة الرمزية التي لها وضع شرعي يسمح بالعمل شرعياً معتمداً علي علاقات القوى بين العاملين (مثلا) شخص يمكنه مجامله (حسب رأس ماله الديني) اقتراح تأويل للنصوص المقدسة التي ولو انها ثورية تحترم بكفاية الشرعية للتعبير عن تحديدها للخطاب الديني و ليس كأعلان سياسي . (لويس بينتو ، ٢٠١٤ ، ٩٨:٩٩) .

الهيمنة الذكورية : وضح بورديو كيف كان تقسيم العمل الصارم بين النساء و الرجال في المجتمع القبائلي هو العامل الاساسي في بناء الرؤية للعالم المتمايز جنسياً ، رأي بورديو ان الرجل و المرأة يشكلان في الواقع جماعتين اجتماعيتين ، و حلل العلاقات القائمة بين مهيمن و مهيمن عليه . (حسن احجيج ، ٢٠١٨ ، ١٩٠) .

الهيمنة الذكورية ما زالت قائمة عبر ما يسميه بورديو بالعنف الرمزي ، ذلك العنف الناعم و الا محسوس و الا مرئي من ضحاياه انفسهم و الذي يمارس في جوهره بالطرق الرمزية للأتصال و المعرفة أو اكثر تحديداً بالجهل و الاعتراف أو بالعاطفة حد ادني وذلك كل متأصل في العقول و الاجساد أدمج علي شكل ترسميات لا واعية من الادراك الحسي و التقسيم ؛ فإن التقسيمات المكونة للنظام الاجتماعي ، اي علاقات الهيمنة و الاستغلال يجد فيها العنف الرمزي شروط ضرورية للنمو و البقاء . (بير بورديو ، ٢٠٠٩ ، ٨:٩)

هيمنة الاسرة : الاب هو من يملك احتكار العنف الشرعي بشكل رئيسي داخل العائلة (وليس فقط احتكار القوة الجنسية) ، يمارس الفعل النفسي الجسدي ، فالأقوال الأبوية أثر تكوين سحرى لكونها تتكلم مباشرة مع الجسد ، إن القطع الابوي بأمر يتعارض مع التفهم

الامومي ؛ الذي يرد بعرضيه الضرورة و تأكيد الاحتمال علي الحكم الأبوي ، ان الواقع و المتواطئ مع نظام العالم التي تشير الي كراهية الاب ، كراهيه موجهه بالنسبة لتمرد المراهقين ليس ضد الضرورة التي يدعيها الخطاب الأبوي وحسب بقدر ما هو موجهه اكثر ضد الانخراط الاعتباطي الذي يمنحه اياها الأب الكلي القدرة مؤكداً بذلك علي وهنة ، انه وهن التواطؤ المستسلم الذي يذعيه من دون مقاومة ووهن المجاملة الذي يجد اشباعاً و غروراً في اللذة الوحشية . (بير بورديو ، ٢٠٠٩ ، ١١١:١١٠) .

دور الاستراتيجيات التربوية هو دور رئيسي ، لأنه ثمة ضرورة لعمل (حشو دماغ) و ترسيخ لإنتاج ملك يرغب في أن يرث وجدير بان يرث ، وهنا نرى حين أن نفكر في تربية البنات في المجتمعات التي تولى رأس مال الشرف أهمية بالغة ، الي حد تشكيل تربية البنات استراتيجياً جوهر في منظومة التكاثر و أعادة الإنتاج ، فالعار يأتي من طريق البنات ومن طريقتهن يأتي افراط الخصوبة ... وغير ذلك ، ونظرة الهاجس الاستحوازي التي تنظر بها هذة المجتمعات الي فضيلة البنات هي عرف في منظومة التكاثر و اعادة الانتاج . (بير بورديو ، ٢٠١٦ ، ٤٨) .

ان العائلة هي قالب المسار الاجتماعي و العلاقة بهذا المسار ، و بالتالي قالب التناقضات و المضايقات المضاعفة التي تنشأ بصورة خاصه من اشكال عدم التوافق بين ترتيبات الوارث و يبين القدر المسجون في ميراثه ، نظام الميراث هو ادارة العلاقة بين الاباء و الابناء و بصورة خاصة استمرارية السلالة و استمرار ميراثها بأوسع معاني الكلمة ، تطرح بطريقة شديدة الخصوصية في المجتمعات المتمايزة ، بشكل جوهر المراث الابوي و ادامة الوضع الاجتماعي الذي يلازمه ، ينبغي في كثير من الاحيان التميز عن الاب و تجاوزه و انكاره بمعني ما ، وهي عملية لا تمر دون مشاكل سواء بالنسبة للأبن او الابنة

الذي يجد نفسه في مواجهه مهمه قاسية قد يعيشها كشكل من اشكال الانتهاك ، الوارث الناجح يعني قتل الاب بإيجاز منه اي تجاوزاً يهدف الي الحفاظ عليه ، مشروعه في التجاوز الذي يدخل بصفته هذة ضمن النظام ، نظام التوارث ان تطابق الابن مع رغبة الأب بالاستمرار عبر ابنه يجعل الوارث دون تاريخ ، ان الورثة الذين ينجحون في الاستحواذ علي الآرث بقبولهم له و بالتالي بقبولهم ان يكونوا موروثين بالوراثة (خريج كلية معينة ، ابوه تخرج منها ، فعامل تعدين ابنه ايضاً عامل تعدين) ، فهى اعادة انتاج مطابقة لما هو عليها و تأكيدلامتياز الهوية الاجتماعية الخاصه وفي حالة الأب الذي قطع طريقه الي الصعود ، فإن الصعود الذي يؤدى بإبنه الي تجاوزه هو علي نحو انجازاً شخص له ، هو التحقق الكامل لمشروع تحطيم ، وابن يرفض ان يُجبر و يقبل مثلاً اعلى وضعه ابوه ، وفى هذة الحالة تتضخم رغبة الأب احياناً بصورة مفرطة ، خارج الحدود الواقعية ، فالأبن او الابنة اللذان تشكلاً كبدائل للآب يكلفان بالوكالة بصورة ما بدلاً عنه ، بتحقيق ذات مثالية تتفاوت امكانية تحققها و هكذا نصادف العديد من الامثلة علي أباء او امهات يسلطون علي ابنائهم رغبات ومشاريع تعويضية ، ويطلبون فهم المستحيل وهذة احدى الاسباب الهامة لاشكال المعاناه ، فالعديد من الاشخاص يعانون بصورة دائمة من التفاوت بين ما حققوه و بين ما ينتظروه . (بير بورديو ، ج٣ ، ٢٠١٠ ، ١٨٥:١٨٦) .

المحور الرابع اسهامات بير بورديو التربوية للكشف عن قوة الهيمنة :

قدم بورديو دور اسهامات كبيرة في اواخر القرن العشرين و بداية القرن الحادى و العشرين لفهم الدور الذي تقوم به المدرسة في نظام الاستنساخ وعدم المساواة الاجتماعية و الثقافية و اضفاء الشرعية علي بعض الممارسات الثقافية ، فمن الستينات ساهم بورديو بشكل دوري في سياسة العامة لأتخاذ بعض القرارات حول التعليم الحكومي و الامداد الثقافي في

لجان الحكومية و التغيرات الكمية و النوعية ، وفي التسعينات اصبحت المدرسة الجمهورية بشكل واضح في خطابات بورديو و التي كانت تعبير عن تصحيح الشكل الاساسي للتعليم الي الثقافة الفنية و العلمية و كذلك توجيهات للدولة و المدرسة و مؤسسات الخدمة العامة التابعة لهما و ايضا التحدث عن شرعنة كل ذلك وصولا الي القهر الثقافي . (Jeremy f.lane , 2006 , 3:8) .

العملية التعليمية

فأراد بورديو فحص نظام المدارس وفهم انواع المعرفة و التعليم المختلفة ، ونشر الوعي ، و توضيح كيف يعمل نظام المدرسة و ما النخبة المتميزة و كيفية انتاجها و اعادة انتاجها ايضاً من خلال نظرية الممارسة لإدامة النجاحات الغير متكافئة ، فأشار بورديو نحو التعليم المدرسي المجاني و اللعبة السياسية و كيف كانت التوقعات بأن التعليم يجب ان يكون متوفراً للجميع ولكن ان نظرنا في لنهاية هذة اللعبة نجد مجانية تعليم للجميع و لكن اختلاف التحصيل و المنتج النهائي بين الأطفال و بالتالي الانتاج الغير متكافئ ، فكان هدف بورديو هو تقديم تفسير عام لعدم المساواه الاجتماعية و لم يكتفي بذلك فقط ، بل اثبت من خلال العمل التجريبي علي و في النظام التعليمي ان المعلمين مسؤولون عن ذلك وان المشكلة لم تكن تكمن في كادر التعليم في حد ذاته انما في المعلمين المنافقين مزدوجين المبادئ . (pat Thomson ,2017, 3:5) .

وقد وضح بورديو الروابط الخفية بين الاستعداد الدراسي و التراث الثقافي ، ففي المقام الاول يتم استدعاء الأنظمة التعليمية من قبل الطبقات المهيمنة لأعادة الأنتاج و انتاج عوامل قادرة علي معالجة الثقافة الشرعية بطريقة مشروعة ، و نلاحظ ان ثقافة المجموعة

المهيمنة هي المجموعة التي تسيطر علي الموارد الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية التي تتجسد في المدارس ، او بمعني اخر تضمن المؤسسات التعليمية ربحية رأس المال الثقافي للمهيمن ، فيتم فهم الاختلافات التعليمية في كثير من الأحيان نتيجة المواهب الفردية متجاهلين حقيقة ان القدرات تقاس بالمعايير الدراسية . (pierre Bourdieu and pesseron ,1979, 20:22) .

في الواقع هناك ارتباط بين الهيكل الأجتماعي و بين البنية الأجتماعية و خاصه التقسيم الي طبقات مهيمنة قي مجالات مختلفة و مبادئ الرؤية و الأنقسامات التي ينطبق عليها العملاء ، وعلي الرغم من ان هذين النهجيين قد نعتبرهما من وجهه نظر النظرية لا ينفصلان فإن متطلبات البحث تعني انه يجب اعطاء الأسبقية اما لأستكشاف البنية الموضوعية او من ناحية اخرى تحليل الهياكل المعرفية التي يستثمرها الوكلاء في الإجراءات و التمثيلات التي يبنون من خلالها الواقع الأجتماعي و يتفاوضون علي نفس الظروف للتبادل الحر ، و إن تحليل الهياكل و الأليات يكتسب قوة توضيحية و الحقيقة الوضعية لأنه يتضمن نتائج تحليل مخططات الإدراك و التقدير و الإجراءات التي يستفيد منها الطلاب و المعلمون في أحكامهم و ممارستهم ، و إذا كانت المؤسسة التعليمية تشبه الجهاز المعرفي الذي يعيد بأستمرار توزيع الطلاب المقدمين بالنسبه لمواقهم فإن هذا التصنيف هو في الواقع حصيلة الألاف من الإجراءات و الأثار التي ينتجها الوكلاء ، علي ان تحليل بنية المعاملات التي يقوم بها الوكلاء في تمثيلهم بقدر ما في ممارستهم ، يمكن ان يصبح ذا معني كامل ، فلا شك ان الوكلاء يبنون الواقع الاجتماعي و يدخلون في صراعات و معاملات تهدف الي فرض رؤيتهم ، وانهم يفعلون ذلك دائماً من خلال وجهات نظر و مصالح و مبادئ تتحدد حسب الموقف الذي يشغلونه في العالم الذي

يعتزمون علي تغيره أو الحفاظ عليه ، ويمكن ربط الهياكل الاساسية لأنظمة المكونة اجتماعياً و التي تشكل مبدأ التوحيد و التمثل الموحد في اتخاذ القرار سواء فيما يتعلق بالمؤسسات التعليمية أو التخصصات الثقافية أو الأراء السياسية بعلاقة واضحة .

(pierre Bourdieu & Monique de saint-martin ,1996, 1:6)

اسهامات بورديو : لم يكن تقرير كوليج دو فرانس أول غزو لبير بورديو في مجال السياسة التعليمية ، حيث ساهم بورديو اعقاب احداث مايو ١٩٦٨ في انتاج سلسلة من الوثائق المكتوبة بشكل جماعي ذات اساس موضوعي صادر عن مركز الدراسات الاجتماعية الاوروبية ، وقد اهتم بورديو بالقضايا و المشاكل المعاصرة المتعلقة بالتعليم الادبي ، ولم يقترح تقرير الكولدج دو فرانس الألغاء البسيط لتسلسل الهرمي الاكاديمي أو قمع منافسة ، ولم يرغب بورديو في تقديم اى وعود أو مقترحات غير واقعية ، بل دائما يعتمد علي المنطق و الواقع ، و نلخص تقرير الكولدج دو فرانس فيما يلي :-

- تنوع الأشكال و الانواع في المنافسة بين التخصصات ، وعلي الرغم من ان المدرسة لا تتحكم بالكامل في القيمة الاجتماعية للمؤهلات التي توزعها و التي تعتمد بدرجة كبيرة علي قيمة المناصب التي يتم الوصول اليها ، الا انها تتمتع بقوة تكريس كبيرة و التي يمكنها الضمان الي حد كبير القيمة الاجتماعية للكفاءات التي تدرس ، ويترتب علي ما يقوله التقرير ان المعالجة يمكن ان تساهم في التدرجات الهرمية بيم المواد الدراسية داخل المدرسة بشكل كبير و في الحد من تثمينها التفاضلي .

- و يشير ايضاً التقرير الي عدة طرق يقوم بها مبدأ المعارضة و العداء بين التخصصات الأدبية و العلمية و التي تقسم نظام التعليم الي أقسام و كان حل هذا النزاع :-
  - اولا : الغاء التقسيم بين العلمي و التطبيقي أو التخصصات النظرية و التخصصات التي يتم استبعادها ، وهذا يعني ان الطلاب في كل تخصص يجب ان تصبح علي قدر الامكان مستكشفة ، حيث المهارات العامة و المهارات القابلة للتحويل للمنطق و التجريب و الاختراع فتعطي في النهاية الوزن المساوي لممارسة النظريه .
  - ثانياً : أعطاء تخصصات العلوم الانسانية دور بارز في غرس التصرف الابداعي و الابتكاري (تعد احدي الطرق لاعادة تقيم دور التعليم) .
- كما يدعو التقرير الي انتاج تاريخ و انثولوجيات الثقافة و الحضارة الاوروبية ، لتعزيز تعاون اكبر بين مدرسين الادب و اللغات .
- كما يحث التقرير ايضاً طريقة تنظيم اجتماعات مشجعة للمعلمين ، لاستكشاف ما وراء التخصص وذلك عن طريق البرمجة المشتركة للفصول الدراسية (التي ينبغي ان تعطي قيمة متساوية لدروس المعلم الواحد ، من حيث الأجر و عدد االساعات التي تحسب) لاعطاء صورة اكثر وضوحاً حول ما قد يبدو عليه هذا الاقتراح في الممارسة (أنشاء قاعدة مشتركة بين المناهج الدراسية) .
- كما دعا التقرير الي بناء علاقات منفعة متبادلة بين المدرسة وغيرها من المؤسسات الثقافية ، وذلك لتعزيز و الاسهام في نجاح المؤسسة التعليمية و البيئة الثقافية .

(JOHN.R.W.SPELLER , 2011 , 166:174)

المراجع

١- _جوزيف . س. ناي (٢٠٠٧) ، القوة الناعمة "وسيلة النجاح في السياسة الدولية " ، ترجمة : محمد توفيق ، العبيكان ، المملكة العربية السعودية .

٢- علي ليلة (٢٠١٥) : النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع ، صراع حضارات المجتمع علي ساحة المرأة والشباب،جامعه عين شمس مكتبة الانجلو المصرية ص ١٤-٤٠ .

٣- بير بورديو (١٩٩٨) ، اسباب عملية ، ترجمة : انور مغيث ، دار الازمنة الحديثة ، بيروت ، لبنان .

٤- بير بورديو (٢٠٠٢) ، بعبارة اخري محاولات باتجاه سيسيولوجيا انعكاسية ، ترجمة : احمد حسان ، ميريت للنشر . القاهرة .

٥- عبد الوهاب الكيالي (١٩٩٤) ، الموسوعة السياسية ، الجزء السابع ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

٦- مهند حميد الراوي (٢٠١٥) ، عالم ما بعد القضبية الاحادية الامريكية "دراسة في المستقبل السياسي الدولي" ، القاهرة ، المكتب العربي للمعارف .

٧- امنة . محمد (٢٠١٥) ، الهيمنة الأمريكية في مطلع القرن الحادي والعشرين "مقاربة في المنطلقات والنتائج" ، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، بغداد – العراق ، العدد ٤٢ .

٨- أميرة حلمي مطر (١٩٩٥) ، الفلسفة السياسية "من افلاطون الي ماركس" ، القاهرة ، دار المعارف.

٩- توفيق المدني (١٩٩٧) ، المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العربي .

١٠-حسن احجيج (٢٠١٨) ، نظرية العالم الاجتماعي " قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بير بورديو " ، مؤمنون بلا حدود ، دار البيضاء ، المغرب .

١١- بير بورديو (٢٠١٦) ، عن الدولة " دروس في الكوليج دو فرانس " ، ترجمة: مروة نظير ، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسيات ، بيروت .

١٢- بير بورديو (٢٠١٠) ، بؤس العالم " رغبة الاصلاح " ، ج١ ، ترجمة : محمد صبح ، دار كنعان ، دمشق

١٣- بير بورديو (٢٠٠٤) ، التلفزيون و آليات التلاعب بالعقول ، ترجمة : درويش الحلوجي ، دار كنعان ، دمشق .

١٤- لويس بينتو (٢٠١٤) ، نظرية العالم الاجتماعي عند بير بورديو ، ترجمة : محمد امطوش ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الاردن .

١٥- بير بورديو (٢٠٠٩) ، الهيمنة الذكورية ، ترجمة : سلمان قعفراني ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت .

١٦- بير بورديو (٢٠١٠) ، " منبوذ العالم " ، ج٣ ، ترجمة : رندة بعث ، دار كنعان ، دمشق .

17- Woods, R.G, and Barrw, R; An Introduction to Philosophy of Education, London, Methued and Co, Ltd, 1975.

18- LOÏC WACQUANT (2002) , THE SOCIOLOGICAL LIFE OF PIERRE BOURDIEU , UNIVERSITY OF CALIFORNIA , BARKELEY .

19- LOÏC WACQUANT (2006) , PIERRE BOURDIEU , UNIVERSITY OF CALIFORNIA , BAKELEY MACMILLAN , NEW YORK .

20- CRAIG CALHOIN (2012) , THE SOCIAL HISTORY OF PRESENT : BOURDIEU AS HISTORICAL SOCIOLOGIST , GORSKI PHILLIP , DUKE .

21- Edward comor , (2016) , the international encyclopedia of poitical communication , routlege , London .

22- Antonio Gramsci (1977) , quaderni del carcere ,edizione critica di valentine gerratana, Italy , editore Giulio eiaudi .

23- JEREMY F.LANE ,(2006), BOURDIEU'S POLITICS "PROBLEMS AND POSSIBILITIES , ROUTLEGE , NEW YORK .

24- PAT THOMSON ,(2017), EDUCATIONAL LEADERSHIP AND PIERRE BOURDIEU "CRITICAL STUDIES AND EDUCATIONAL LEADERSHIP ,MANAGEMENT AND ADMINISTRATION ,ROUTLAGE , NEWYORK.

25- PIERRE BOURDIEU & PASSERON ,(1979), THE INHERITORS: FRENSH STUDENTS AND THEIR RELATION TO CULUTRE , UNIVERSTY OF CHICAGO PRESS , CHICAGO .

26-PIERRE BOURDIEU WITH THE COLLABORATION OF MONIQUE DE SAINT-MARTIN ,(1996), THE STATE NOBILITY "ELITE SCHOOLS IN THE FIELD OF POWER , TRANSLATED BY / LAURETTA

27-JOHAN.R.W.SPELLER ,(2011), " BOURDIEU AND LITERATURE" , OPENBOOK PUBLISHERS , CAMBRIGE .